التعبريون

للاب انستاس ماري الكرملي

١ — تصدير

في لغتنا العادية ، الفاظ مترادفة ، يُرى بينها ما يشبه الكلم السامية ، ومنها ما يشبه الحروف الباقية ، ومنها ما يضاهي الكلم الحامية . وهذا دليل بيّن على أن ابناء يعرب اختلطوا بأمم مختلفة اللغى والعناصر ، والعروق ، فاقتبسوا منهم مفردات ، كما أن مستعربيهم اخذوا منهم أوضاعاً ، أدخلوها في ألسنتهم ، حتى اختلط الحابل بالنابل ، وتعذر عرفان تلك الأصول ، فلا يُدرَى اليوم أأخذها العرب من الأعاجم ، أم استعارها هؤلاء من اولئك . وعلى كل حال ، اصبحت دراستها من ألذ المباحث ، لما فيها من العودة الى القرون الأول ، والوقوف على أسرار لتى تلك الأمم ، ودقائق نطقهم بها ، على مختلف الوطن والزمن

والأدلة التي تثبت هذه الحقيقة اكثر من ان تحصى ، وربما تقع في مجلد ضخم ، كله بدائع وروائع ، ولما كان هذا الموضوع يخرجنا الآن عن بحثنا الذي أرصدنا له المقال ، نذكر شاهداً واحداً ، ليقف القارىء على ما نشير اليه . وهو كلمة (شهر) . فهذه الكلمة سامية الوضع ، نعي في الارمية (سَهْرَا) ومعناها (القمر) ، لأن حساب ايام الشهر ، يعرف من القمر ، فهو مقياس ايامه منذ اقدم الأزمنة ، وعند جميع امم الشرق والغرب . ومن اسماء (القمر) في لغتنا (الساهر) و (الساهور)

وفي لساننا كلمة أخرى تدل على الشهر هي (الغاس) ، بنون مضمومة ، فميم مفتوحة ، فألف ، فصاد . فهي مقلوب احرف اليونانية Mènos (مانُص) المشتقة من Mèné ومعناها (القمر) . وهذه الكلمة اليونانية يجانسها الفاظ، في كثير من ألسنة ديار الغرب كالهندية القحى (السنسكريتية) ، والفرندية ، والفارسية ، والأرمنية ، والالبانية ، واللاتينية ، والانبرية ،

والارلندية القديمة ، والغالية ، والبريطونية ، والتوصية ، والالمانية العالية القديمة ، والانكليزية الكمرية ، والنرمندية القديمة ، والصقلية القديمة ، والتوانية ، والتشية ، والبروسية القديمة والفرنسية ، والانكليزية ، والاسبانية ، والايطالية ، الى غيرها من اللغات . ونحن ننقل كل ذلك عن معجم بوازاق اليوناني الفرنسي[1] . ولو تعلم ان في مطبعة المقتطف حروف هذه الألسن ، لصورناها هنا للباحث ، المتطلع الى درس الحقائق وما فيها من الدقائق . ومن اراد تتبع هذا الموضوع ، فعليه بمراجعة هذا المعجم النفيس في ترجمة Mên ، فانه يفيده الفائدة العظمى المنشودة

ويؤخذ من هذا كله ، ان مادة (ن م ص) او (م ن ص) بمعنى الشهر ، غير موجودة في اللغات السامية ، فيستنتج انها دخيلة في المصرية ، وانها جاءتنا ، يوم كان ابناء اسماعيل مختلطين بسائر الأمم والشعوب حينما كانوا في سفن بحر الروم (او البحر المتوسط) . فاستطعنا بهذه الطريقة أن نهتدي الى اصل (نماص) الحقيقي ، لكن الأمر ليس بالهين في مثات ، بل في الوف من الألفاظ ومن جملتها (القمري) وجمعها (القمريون) أو (القمارية)

٢ — الكبيريون

عند اليونانيين كلة ، هي : Kabeiroi ، وهي باللاتينية Cabiri ، وبالفرنسية Cabires ، وبالانكليزية Cabiri وقد حار علماء اللغة والتاريخ والدين في معرفة اللغة التي وضعت فيها لاول مرة . فمنهم من قال بأنها مشتقة من السامية (كبير) ، اي كبار او كبراء ، ومعناها (الآلهة العظيمة) او (الكبار) . وذهب فريق الى انها مشتقة من فعل يوناني هو Kaiô (كايو) اي كوى ، واحرق لان (الكبيريم) او الكبيريين او (الكبار) آلهة اشرار ، هم آلهة النار ، يكوون أعداءهم بالنار ، تحقيقاً لهذه الآية : « لِتَسْتَنَّا بِالنَّاسِيَةِ »

٣ — عبادة الكبيريين السرية

وكان لهؤلاء الآلهة عبادة سرية ، يؤديها لهم بعض الاقوام من اليونانيين ، ولاسيما اهل ساموثراقة ، وليموس ، وانبروس . وقد نقلها الى تلك الربوع الفينيقيون ، ثم اعتورها التبديل والتغيير ، بحسب ظروف المكان ، والزمان ، وروح تلك الديار ، حتى امتزجت كل الامتزاج بعبادات البلاسجيين — وقيل : إن لهذه العبادات صلة « خاصة » بالهفستين Hephaestains

(١) Emile Boisacq. — Dictionnaire Etymologique de la Langue Grecque. — Paris. Librairie C. Klincksieck. 1923

باعتبارهم مطعمي المدنيين بالمادن ، وصلة بديمتر Demeter ، وفرسافونة Persephone ورائية Rhea ، وهكاتة Hecate باعتبارها آلهات انطية

وكان الكبيريون في بدء الامر ، اربعة ، ودعوك اسماءهم : اكسياروس Axieros وأكسيوكرسس Axiocersus واكسيوكرسة Axiocersa وكدمّلس Cadmillus اوكسمّلس Casmillus ، ثم ترجمت هذه الاعلام بعد مدة طويلة بصور شتى فرة كانت حُلْقان [1] Vulcanus ، والمريخ Mars ، والزهرة Venus وعامر Amor او عرمونية Harmonia

ومرة أخرى بصورة دماطر Démeter او كَرَس Ceres ، وفلوطن Pluton وفروسرفية وهرمس Hermes أو عطارد Mercurrius

وقد التبس على كثيرين لفظ (الكبيرين [2]) بلفظ (الكوريتين Curetes) ، او بلفظ (الكوروبنطيين Corybantes) او (بالدكتوليين) Dactyles

والخلاصة : لا يمكننا ان نؤكد تأكيداً صادقاً كل ما يتعلق بتلك الآلهة ، اذ ما كان يجوز لاحد أن يتطق بأسمائهم ، ولا بأنواع العبادات السرية والغامضة التي كانت تؤدى لهم ، وكانت تخفى على كثيرين ممن قبلوا في احضانها

وكان اسم الكاهن الأكبر ، او الحبر الأعظم ، لتلك العبادة الكبيرية (قوبس (Koès) وهو الذي كان يتقبل شهادة الداخلين فيها ، وآخر حفلة تقام لوقف (الوليج) على اسرار الدين ، تسمى (تصبياً) Thronismus

يُجلس (الوليج) على تكرمة مثلاثة انواراً ، بعد ان يمتحن محناً تشيب لهولها رؤوس الاطفال ، ثم يرقع وجهه ، ويعقد على جبينه إكليل يتخذ من غصن زيتونة ، ويوشح بوشاح بديع ، بينما يكون المواذة والمرابذة قد أمسك بعضهم بأيدي بعض ، وهم يرقصون رقصاً رمزيًّا هو (الدستيد)

---

(١) يقول المعربون المصريون في تعريبه (فلكان) وهذا غير صحيح لان الحرف الغربي او اللاتيني V لم ينقله قدماء العرب الى فاء او واو ، او باء ، بل الى حرف حلقي ، نحو اما (ح) او (خ) او (ع) او (غ) ولنا كلام طويل في هذا الموضوع . و(حلقان) مأخوذ من مادة (حلق) الشابهة للمادة (حرق) و(حلقان) اله الاسراق والحلق والحاق هو الاصابة بالشر والاهلاك (٢) اليا . في (الكبيري) بمعنى (الكبير) للمبالغة كالاحمري للاحمر في قولك (احمري) معنى (الاحمر) بكثرة او شدة

ويروى ان عائلة Ainés [1] عرف اهل ايطالية بالكبريين ، وأقيمت فيها اعياد اكراماً لهم منذ ذاك الحين

٤ً — الكبريون هم القمريون او التمابرة

بسطا للقارىء ملخص آراء علماء الغرب فيما يتعلق بأمر (كبريين) ليتضح له المعنى المطلوب من (الكبري) وقد اعتمدنا على رسنيول في كتابه Les Métaux dans L'Antiquité — par Rossguol La Mythologie de la Grèce Antique par M.P. Decharme ووبستر في معجمه الدولي الجديد للغة الانكليزية المطبوع سنة ١٩٢٤

Webster's New international Dictionary of the English Language Editor in chef : W. T. Harris, Ph. D., LL. D. — General Editor F. Sturges Allen

والمتفق على الحقيقة وهي أن علماءهم البصراء غير متفقين على أصل تلك اللفظة . فمنهم من قال أنها من أصل سامي ، ومنهم من ذهب الى أنها من مادة حامية ، ولم ير أحد منهم أنها من تركيب يافثي أو هندي

ومهما يكن من هذا الاختلاف ، فاننا نرى في لغتنا ، الكلمة الحقيقية التي نشأت منها (الكبريون) بالتصحيف والتحريف . وأن هذه اللفظة هي (القَمْبَرِيّ) وضبطها بالقاف المفتوحة فالميم المهملة الساكنة ، يليها باء موحدة تحتية ، فراء مكسورة فياء مشددة . وهذه الكلمة قديمة في لغة مُضَر . واما قيل فيها (كبري) ، لان القاف غير موجود في لغات الغربيين فعوضها عنها بالكاف والعين لاوجود لها في تلك الالسنة ، لانها من أحرف الحلق ، التي هي : أ ، ه ، ح ، خ ، ع ، ك ، ق ، فقدهم منها : أ ، ه ، ك وأما ما بقي منها فيسقط في كلامهم أو يبدل بأحرف أخر ، وقد سقطت هنا القَيْنُ ، وبقي من احرف تلك اللفظة : الباء والراء والياء . وفي التوراة ، مئات من شواهد الأعلام تؤيد رأينا هذا بلا شاذ واحد ، ولا نادّ

---

(١) ايناس اي Aineas على ما نقلها العلامة سليمان البستاني في (الياذة هوميروس) او بصورة (آياس) كما في قوله (ص ٢٠٦) :

وآيـــاس الدردنين أمر وهو أن اتخيس اخو الذكر الاغر

ومرة بصورة ايناس ، كما في هذا البيت (ص ٤٠٨) :

لهم في السبا هذا الحديث وفي الثرى ذيوميد لا ينفك اياس يطلب

وأخرى بصورة أياس ، كما في هذا البيت (ص ٤٠٩) :

وسار أطول بأياس مسرعا لمسعاه في طود فرقام يذهب

ولا يجوز ان يبيت بالعلم الواحد هذا البيت . وقال في معنى أياس في ص ١٢١٦ (هائل) ، وهذا لا يوافق عليه علماء اللغة وفقهاؤها من اليونانيين . ونحن عربناه بصورة (عائن) ، وهو المعنى الذي اتفق عليه أو يكاد المؤلفون بأصول الكلم ومواردها . وكتابة هذا العلم بالاحرف اليونانية يحملنا على اقرار عربيته بهذه الصورة دون غيرها ، ولاسيما لان المعنى يثبت ذلك المبنى اثباتاً صحيحاً لاريب فيه

ومما يؤيد فكرنا هذا ، ما ورد في الحديث النبوي . قال ابن الاثير في النهاية ما هذا نقله : « اي في كتاب ضريبي) انه ان رجلاً قال : يا رسول الله ، من اهل النار ؟ — قال : كل شديد قمبري . — قيل : وما القمبري ؟ — قال الشديد على الاهل ، الشديد على العشيرة ، الشديد على الصاحب قال الهروي : سألت عنه الازهري ، فقال : لا اعرفه . وقال الزمخشري : أرى انه قلب(١) عبقري . يقال : رجل عبقري ، وظلم عبقري ، شديد فاحش . والقلب في كلامهم كثير » اه . ما جاء في النهاية

وما ورد في اللسان وتاج العروس لا يخرج عما جاء في النهاية ، فلا حاجة لنا الى ايراده

٥ . القمبري واشتقاقه الحقيقي ومعناه العلمي

هل القمبري مقلوب المقبري ؟ — قد يكون ذلك ، لكننا مع كل احترامنا لرأي أحد اللغويين الأقدمين الكبار ، لا نرى رأيه ، والأخذ برواية الآخرين من غير عرضها على محك النقد مما يسد باب الاجتهاد ، ويحول دون تقدم فكر البشر . والذي عندنا : ان كل لفظ يتعدى أحرفه الثلاثة ، يحل الى دونه تركيباً ان كان عربي الأصل او الوضع ، فالسباعي الى السداسي وهذا الى الخماسي ، وهذا الى الرباعي ، والرباعي الى الثلاثي ، وهذا الى الثنائي ، فننظر حينئذ في هذا التركيب

فرأينا إذن ان القمبري يغدو في حله (قمبر) لأن الياء للمبالغة في المعنى ، و (قمبر) يصير في ثلاثيه (قمر) ومعنى (قمّر) الشيء انتهى الى قعره . فاذا قلت ان فلاناً (قمّر البئر)، فمعناه : نزل اليها حتى انتهى الى قعرها ، و (قمر) الاناء : شرب ما فيه حتى انتهى الى قعره ، و (قمّر) الزبدة : أكلها من قعرها ، و (قمر) فلاناً : صرعه كأنه صار الى قعره أي نهاية أسفله . و (قمر) النخلة : قطعها من قعرها أي أصلها . الى آخر ما هنالك من الأمثلة

ثم ان مادة (قعر) قد ترد الى الثنائي فتصير (قرّ) ومنه (القرار) لما قُرّ فيه ، أي ثبت وسكن فيه ، و (القرار) أيضاً : المطمئن من الارض ، والمستقر الثابت منها . فقولنا (القمبري) معناه : الذي يوصلك بشدته وظلمه وعسفه الى آخر ما يمكن أن تصير اليه . وهذا هو من مزايا وأعمال أولئك الآلهة أهل النار ، فانهم أهل جور ، وجبر ، وبغي ، وطغي ، الى ما ضارع هذه الصفات الذميمة . فأنت ترى من هذا التحليل اللغوي الوجيز : ان العربية حلالة المشاكل ، منزلة المعاضل ، مجلية عن كثير من المسائل الجلائل !

(١) نحن لا نرى رأي الزمخشري بل نرى ان الكلمة تنظر الى اليونانية Hyperkheiria ومعناها : يفوت او يتجاوز اليد ، أو بعبارة أخرى : لا تصل اليه يد المتدرين من البشر ، وهي أيضاً من القاب (جراء) أي Hèra التي يسميها الرومان يونون Iunon وهي من آلهة الخرافات الرومانية واليونانية أو من مزاعمهم الدينية